

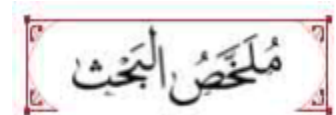
تجليات وباء كورونا في قصة "كورونا يقتل مريم" للكاتب التونسي صالح مبروكي

Manifestations of the Corona epidemic in the story "Corona Kills Maryam" by Tunisian writer Saleh Mabrouki

د. وردة سلطاني

جامعة باتنة 1؛ الحاج لخضر (الجزائر)، Ouarda.soltani@univ-batna.dz

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2024/03/01	2024/01/25	2023 / 11 / 13



تهدف المداخلة إلى الحديث عن أدب الأوبئة والنوازل عبر العصور وتأثيرها في الإنسان، وكيف جسدها الأدباء بأقلامهم، هذا ما جعلنا نقف عند جائحة كورونا في قصة "كورونا يقتل مريم" للكاتب التونسي صالح مبروكي متسائلين عن: كيف رصد الكاتب أحداثها واختار حكايتها وبين الآثار النفسية والجسدية على شخصياتها؟ لنخلص إلى أن سرد الأمراض والأوبئة رافد من روافد أدب والأوبئة والكوارث وهو قديم قدم الإنسانية. كما أن وباء كورونا كما جسده القصة كان له تأثير قوي على الإنسانية جمعاء غير وجه العالم في جميع النواحي.

الكلمات المفتاحية: أدب الأوبئة، أدب الأمراض، كورونا، السرد، القصة.



The intervention aims to talk about the literature of epidemics and catastrophes throughout the ages and their impact on humans, and how writers portrayed them with their pens. This is what made us stop at the Corona pandemic in the story "Corona Kills Mary" by the Tunisian writer Saleh Mabrouki, wondering

about; How did the writer monitor its events, choose its story, and explain its psychological and physical effects on its characters? Let's be saved Until the narrative of diseases and epidemics is a tributary of the literature of epidemics and disasters, and it is as old as humanity. Also, the Corona epidemic, as embodied in the story, had a strong impact on all of humanity, changing the face of the world in all aspects. **Keywords:** epidemic literature, disease literature, Corona, narrative, story .

1. المقدمة

يعد الأدب ذو طبيعة إنسانية وجمالية، فهو أقرب إلى الإنسان - خاصة - السرد بأشكاله، فالأدب لا يقف موقف المتفرج مما يحدث في المجتمع، بل يخترق النفس البشرية ويكشف مشاعرها وآلامها وأفراحها في السراء والضراء - ومهمته لا تكمن في رصد الوقائع الخارجية رسداً مرأوياً، بل يتناول الظاهرة الاجتماعية تناول الطبيب، إذ يحرك العواطف ويطيب النفوس ويحاول السمو بها في عالم الجمال، لذا تفاعل السرد مع كل ظاهرة من الظواهر الاجتماعية.

وقد تفاعل الأدب مع الظواهر الوبائية عبر التاريخ، تحدث عن الأمراض، وفصل في أسبابها وآثارها، وآلامها وبين موقفه منها، ومن هذه الأوبئة المستجدة هذه الأيام وباء كورونا الذي تفاعلت معه جميع الأجناس الأدبية وغير الأدبية وقد استوقفتنا الظاهرة مع الأجناس السردية خاصة القصة التي يكون فيها التعاطي مع الأحداث بطريقة موجزة ومركزة، عكس الأعمال الروائية وهذا ما دفعنا لتناول هذه الظاهرة الوبائية في القصة / مع العلم أن الظاهرة الوبائية جديدة، ولم تنضج بعد التجارب الإبداعية ولم تتخمر فكرة الكتابة - خاصة مع بداية الجائحة - مما جعل معظمها ضمن الأدب الاستعجالي - خاصة الأجناس السردية - أما المدونات السردية التي تناولت وباء كورونا بحاجة إلى جمع وتصنيف ناهيك عن قلة. كما أن أدب الأوبئة كجنس أدبي لم يُنظر له بعد ولم يأخذ مكانه بعد في الأدب العربي، بدأ يشق طريقه ويرسي دعائمها في عالم الأجناس الأدبية.

ومن الأهداف المتوخاة في هذه الدراسة التطلع إلى هذا النوع من الأدب وهو (أدب الأوبئة)، من بوابة جائحة كورونا، والاطلاع على تاريخ هذا الأدب، والأجناس الأدبية التي تناولته. مستجد كورونا موضوعاته جديدة عفوية مع بداية الوباء دعا إليها هول الوباء ومنها موضوع الورقة البحثية الموسوم بـ "تجليات الأوبئة والكوارث في قصة "كورونا يقتل مريم" لـ صالح مبروكي. والبحث يطرح الإشكالية التالية:

1/ ما هي سرديات الأوبئة؟ هل هي جنس أدبي؟ متى ظهرت؟ ما هي أنواعها؟

2/ ما هي تجليات كورونا في قصة كورونا يقتل مريم؟

الأسئلة ستجيب عنها الورقة البحثية الآتية من خلال المنهجين؛ التاريخي والوصفي التحليلي.

تمهيد:

الأدب مرآة للمجتمع والإنسان يعكس كل ما يحيط به فيعبر عن أفكاره وعواطفه وكل ما يحيط به من أفراح وأحزان وأسقام، ومن رحم هذه الأسقام خرج أدب الجوائح والكوارث والأوبئة.

فما هو أدب الجوائح-الأوبئة- والكوارث؟

هو نوع من الأدب يتناول بشيء من التفصيل أو الإيجاز شعرا أو نثرا كوارث الطبيعة (الزلازل والحرائق، والفيضانات...الخ)، وكوارث الحروب والأوبئة وما تخلفه من آثار سلبية على الإنسان، كما يتناول الأمراض العقلية والنفسية والعاهات، يتعرض الأديب إلى مأساة المرض أو الوباء يستحضر آلامها وآثارها وحجم دمارها ومآسيتها، وآمالها.

أدب الجوائح عام من أهم روافده التي سنتوقف عندها؟ سرديات الأمراض والأوبئة.

سرديات الأمراض والأوبئة:

ماهيتها: هي تلك السرود بأنواعها وأشكالها التي تتناول الأمراض والأوبئة بشيء من التفصيل أو الإيجاز، بطريقة فنية جميلة، واقعية أو رمزية أو استشرافية.

كما يعرف بأنه: "ضرب من ضروب الفن الإبداعي ابتكره الإنسان ليعبر عما يدور في نفسه من خلجات إزاء الجمال والعاطفة والخيال.... ويعرف كذلك بأنه: "حزن وسقم ومرض يتعلق بقلب الإنسان وكيونته"¹

أنواعها:

1- سرد الأوبئة: (الكوليرا، الطاعون، الإيدز، الإيبولا، كورونا...الخ)

2- سرد الأمراض العقلية (الجنون، الحمق، البله...الخ)

3- سرد الأمراض النفسية (العقد النفسية...)

4- سرد العاهات (العميان، البرصان، العرجان، الحولان...الخ)

يعيد وباء كورونا إلى الأذهان تاريخ الأوبئة التي حلت بالبشرية، فالأوبئة ليست وليدة هذا العصر وهذه الأيام، بل ضربت الأمم السالفة.

2. السرد الوبائي في الآداب الغربية:

موضوع الأوبئة يفتح على جميع التخصصات، إذ تناولته كتب الطب والتاريخ والفقه (فقه الجوائح) والفلسفة والإعلام والاقتصاد...الخ ولم يكن الأدب بمنأى عن هذه الأوبئة بل تناولها منذ فجر التاريخ وتفاعل معها، فأول عمل أدبي تناول وباء الطاعون مسرحية (أوديب ملكا) لسوفوكليس (ت 406 ق.م). هذا الوباء الذي حل بمدينة طيبة كلجنة لم يزل إلا بزوال مسبباته، إذ يكتشف أوديب بأنه هو الطاعون وهو اللعنة بعد قتله لوالده زواجه من أمه عن طريق الصدفة والخطأ "فقد جعل سوفوكليس بطله أوديب يبلغ المكان الخطأ في الساعة الخطأ ليلتقي بالرجل الخطأ"².

ونجد في القرن الرابع عشر مؤلف آخر لـ جيوفاني بوكاشيو وهو "الديكاميون" وهي مجموعة من القصص القصيرة يحويها الكتاب، رواها الكاتب طيلة عشرة أيام للحجر الصحي أثناء الوباء الذي ضرب المدينة وقد اعتمد فيها طريقة الليالي العربية.

وقد وثق دانيال ديفو عام 1722 في روايته (دفتر أحوال عام الطاعون) لوباء الطاعون الذي اجتاحت مدينة لندن عام 1665 مفصلاً أحداث الوباء لدرجة يجعل القارئ يعيش معه معاناة الوباء وكأنه حقيقة.³ وكانت بعض الأوبئة مثل الطاعون والكوليرا أخذت حصة الأسد في الأعمال الأدبية لانتشارها سواء كانت بطريقة واقعية أو رمزية أو استشرافية كرواية (الطاعون) للكاتب الفرنسي البيركامو 1947 التي تعبر عن رؤية فلسفية وجودية تجاه ما حدث في الحرب العالمية الثانية، والتي يعتبرها بعض النقاد أنها رمز للنازية والفاشية.⁴

وغير بعيد عن هذين الاتجاهين نجد رواية الكاتب الكولومبي غابريال غارسيا ماركيز (1927-2014) الحب في زمن الكوليرا التي نشرت عام 1985.

ومن السرد الوبائي الاستشرافي الذي يتخيل أشياء تحدث في المستقبل القريب أو البعيد أحداث الأوبئة التي ستفتك بالإنسان وتدمر عالمه كرواية "الإنسان الأخير" للكاتبة الإنجليزية، ماري شيلي الصادرة عام 1826 اختارت لها أحداثاً عن وباء سيقع بين 2100-2073 سيخرج من القسطنطينية وينتشر في أوروبا ويضرب بريطانيا.⁵

وفي روايتي؛ مزرعة الحيوان للكاتب الإنجليزي جورج أورويل ورواية "نهاية العالم" لستيفن كينغ 1947 استشراف للمستقبل عن أوبئة قاتلة تم تعديلها في مخابر عسكرية سرية تزهق أرواح الكثير من البشر⁶ لتكون ضمن الحروب البيولوجية للقرن الواحد والعشرين.

وقد سبق هذا العمل رواية "الطاعون القرمزي" لـ جاك لندن التي نشرت عام 1912، وهي رواية تستشرف أحداثها عام 2073 تروي حكاية الجد جيمس سميث أحد الناجين من الوباء يروي حياته لأحفاده قبل الطاعون عندما كان أستاذاً للأدب الإنجليزي عام 2013 ثم ما حل في هذا الطاعون الذي فتك بملايين من الناس، والرواية تنبأت بهلاك البشرية بالأوبئة. ربما تدور في فلك ما يروج له الآن تحقيق المليار الذهبي.

3. سرد الأمراض والأوبئة في الأدب العربي:

شهد الأدب العربي الكتابة عن الأمراض والأوبئة، ولم يكن بمنأى عنهما، وربما لم يشهد أي أدب كتابة الأوبئة والأمراض كما شهد الأدب العربي القديم، فكان موضوع الأوبئة يأتي في ثنايا القصائد أو تفرد له قصائد. أما الأشكال السردية فتجد هذه الأوبئة في ثنايا الرحلات أو السير أو المذكرات أو الحكايات أو كتب الأخبار ومن هذه الأخيرة نجد مؤلفات عن أنواع الأمراض مثل كتاب أبو محمد الحسن بن إسماعيل الضَّرَاب (ت 392) "عقلاء المجانين والموسوسين" يورد فيه أخباراً كثيرة حول المجانين والموسوسين مجانين كلامهم يحمل من الحكمة ما لا نجده عند العقلاء من هذه الأخبار يقول: "حدثنا سفيان بن عيينة قال: قلت ليهلول المجنون: يا يهلول عظمي؛ فقال: الملوك: هذه قصورهم، وهذه قبورهم"⁷

وقد نشطت في العصر العباسي الكتابة حول المجانين الذين ينطقون الحكمة وفي هذا السياق كتب أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (406هـ) كتاب "عقلاء المجانين"،⁸

وركز أبو الفرج بن الجوزي على جانب آخر من الأمراض العقلية وهو الحمق فألف كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين" وأورد حكايات كثيرة عن الحمقى والمغفلين منها ما حكي عن "عبد الرحمن بن محمد الحنفي قال: قال أبو كعب القاص في قصصه: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا فقالوا له: فإن يوسف لم يأكله الذئب، قال: فهو اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف".⁹

وسرد الأمراض العقلية: متفاوت في درجة سرده وأهدافه، فقد تناوله القدامى لهدف السخرية والضحك لأجل التسلية، وتمثل أخبارهم رصيда من التراث الحكائي. "فالسذاجة، والبله والنزق والطيش والعته سوى درجات متفاوتة من الجنون" ¹⁰ تؤسس لهذا النمط من السرد الذي أصبح فيما بعد مادة خصبة للكتاب في أعمالهم الروائية كرواية "الأبله" لدستوفسكي في الأدب الروسي. "وسفينة الحمقى" للكاتب حسين العبري التي نشرت 2015 تحكي قصة طبيب يعمل في مستشفى للأمراض العقلية التي تفتقر لأدنى شروط الصحة، وتسرد الرواية معاناة طبيب أراد تغيير تلك الظروف دون جدوى من القائمين على المستشفى ويصل في النهاية إلى نتيجة إما مغادرة المستشفى، أو العودة من حيث أتى، أو البقاء والانخراط معهم في الفساد: سفينة الحمقى في الرواية ذات حمولة دلالية رمزية لكل مجتمع استشرى فيه الفساد. ¹¹ ويذهب بعض النقاد إلى عدم وجود سرديات الأمراض العقلية في التراث العربي وينسبه إلى الغربيين فنجد في تعريف أدب المجانين في معجم المصطلحات العربية أنه: "نوع من الأدب ازدهر في أوروبا بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر، تدور حكاياته حول مغامرات لبطل أبله أو مجنون، وكانت هذه الحكايات تقص من أجل التسلية تارة، والوعظ تارة أخرى".¹²

سرد العاهات: نجد التراث العربي ثري بهذا النمط ولأدل على ذلك من كتاب الجاحظ (ت 250هـ) الموسوم بـ "البُرصان والعُرجان، والعميان، والحولان" هذه الأخبار تؤسس لموضوع المرض في السرد العربي، وقد كانت في عصرها مادة خصبة للحكي والأسمار قبل أن تتطور في العصر الحديث إلى نصوص سردية فنية مكتملة تنبني على شخصيات من ذوات الاحتياجات، وغالبا ما تتخذ هذه العاهات طابعا رمزيا كما في رواية الأعشى والأطرش لغسان كنفاني (ت 1972) التي تنبني على شخصيتين: الأعشى والأطرش. الأعشى يعمل في القرن، يتعامل مع الناس ولا يرى أحدا، والأطرش يعمل في مركز الأونروا يسلم أكياس الطحين للناس ولا يسمع أحدا، هل دعا له أم عليه. وتمر حياتهما هكذا عبثا دون جدوى. وهي تتخذ كقناع ورمز للشعب الفلسطيني الذي ينتظر السراب والمعجزة التي لا تأتي أبدا. ¹³

أما سرد الأوبئة يأخذ النصيب الأوفر من الاهتمام قديما وحديثا؛ خاصة الطاعون والكوليرا، وهي أشد وقعا وتأثيرا على النفس من خطاب سرد الأمراض، وتختلف نهاياتها عن سرد الأمراض، إذ تميل إلى الأمل عند انفراج وانحسار الوباء. ومن أشكال السرد الوبائي القديمة التي تناولت الطاعون الذي ضرب الأندلس والمغرب العربي والمشرق، وقد وثق ابن الوردي كارثة الطاعون الذي ضرب بلاد الشام عام 749هـ، في مقامته المعروفة باسم "رسالة النبأ عن الوباء" إذ يتحدث عن خط سير الطاعون الآتي من بلاد الصين ثم الهند والسند والأزبك، ثم فارس ويزحف على البلقان بلاد الروم، إلى أن يصل إلى قبرص ثم جزر البحر والجزائر والإسكندرية والقاهرة وغزة وبلاد الشام ويسترسل مع جميع المدن التي دخلها، ومع كل منطقة

يغزوها يذكر كوارث الموت التي يخلفها وراءه يقول: "طاعون رّوع وأمات وأبتدأ خبره من الظلمات، يا له من زائر في خمس عشرة سنة دائر، ما صين عنه الصّين ولا منع عنه حصن حصين".¹⁴

ثم يتحدث عن أعراضه وكثرة قتلاه فيقول: "لو شاهدت كثرة النعوش وحملة الموتى، وسمعت من كل قطر يجلب نحيبا وصوتا، لوليت منهم فرارا".¹⁵

والوباء نفسه وثقة ابن بطوطة – عندما كان في بلاد الشام- في رحلته يقول: "شاهدت أيام الطاعون الأعظم بدمشق في أواخر شهر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين"¹⁶ ويذكر أن ملك الأمراء دعا أهل دمشق لصيام ثلاثة أيام والدعاء والتضرع إلى الله ليخفف عنهم الوباء.

الوباء نفسه الذي اجتاحت المشرق نجده في الجزائر وثقه ابن حمادوش (ت 1785) في رحلته إلى المغرب يتحدث عن وباء الكوليرا الذي ضرب الجزائر عندما رست سفينتهم في شواطئ المغرب في جبل طارق منعوا من النزول إلى اليابسة وفرض عليهم الحجر الصحي لمدة يومين يقول: "قال لنا: لا ينزل أحد إلى البر، لما كان في أهل الجزائر من وبى [كذا] ولم يدرب أن أحد تجاره مضروب بها راقدا"¹⁷ ويقصد أحد تجار السفينة وقد توفاه الله ودفنوه، وبعد يومين دخلوا المغرب.

وفي مذكرات أحمد باي قسنطينة كان شاهد عيان على الكوليرا التي ضربت المدينة، ويرى أن هذا الوباء إنذار من الله بالمصائب التي سيتعرض لها يقول: "لقد كنا في منزل الربيع عندما أصاب قسنطينة مرض مريع هو الريح الأصفر (الكوليرا) وهو مرض كان يجعل من الرجل الصحيح في لحظة جثة هامة وقد ظل يجوب مدينة قسنطينة مدة 17 يوما..."¹⁸

والذي يغلب على سرد الأوبئة في القديم التعبير الواقعي والتركيز على هول الكارثة وتأثيرها خاصة وهم يفتقرون إلى وسائل الرعاية الصحية الموجودة في عصرنا، لذا نجد التسليم لقضاء الله بالصيام والدعاء، حتى أن الحجر الصحي قد اختلف فيه الفقهاء، منهم يؤمن به ومنهم من يستسلم لقضاء الله ولا يعترف به كما هو الحال مع العربي المشرقي في كتابه "أقوال المطاعين في الطعن والطواعين".¹⁹

لم تتوقف الأوبئة عند هذا الزمن بل استمرت تضرب البشرية عبر العصور أو على الأقل مرة في كل قرن تحصد أرواح الملايين وت خلف مآسي وآثارا في جميع النواحي فمن الطاعون الأسود في القرن الرابع عشر إلى الكوليرا في القرن التاسع عشر إلى الأنفلونزا الإسبانية في بداية القرن العشرين إلى وباء كورونا في بداية القرن الواحد والعشرين.

تشارك جميع الأوبئة في كونها مأس تحصد الأرواح وتترك آثارا نفسية واقتصادية واجتماعية بالغة،

لكن ما يميز وباء كورونا اليوم هو تطور الطب وسرعة التحكّم في الوباء مع سرعة انتشاره إذا ما قورن بالعصور القديمة.

4. تحليل قصة "كورونا يقتل مريم"

هي قصة قصيرة كتبت في مارس 2020؛ أي بداية وباء كورونا، والعالم كله في الحجر الصحي. نتحدث عن مأساة شابة مصابة بالوباء في أيامها الأخيرة، تترجم القصة إحساس مريم بالألم الجسدي والنفسي، وهي قابعة بالمركز الصحي تنتظر مصيرها.

أحداث القصة:

مريم شابة ذات العشرين ربيعاً تسكن في جزيرة من الجزر شمال تونس جاء بها والداها وهي طفلة صغيرة من بلدتهم المنجمية من الجنوب الغربي التونسي إلى الشمال، وها هي اليوم تعود إلى مسقط رأسها. وبين الذهاب والعودة تقع أحداث القصة كاملة.

تركز القصة على الأيام الأخيرة لمريم أثناء اجتياح وباء كورونا.

كانت تنعم بحياة مستقرة وجميلة تربطها علاقات صداقة مع زميلاتها في الجامعة وعلاقة حب مع زميلها حازم، كانت تحب كل شيء في المدينة التي عاشت فيها.

كورونا والنهايات المؤلمة:

يعلن الراوي صوته وينفصل عن الشخصية حيث يتم تقديمها بضمير الغائب؛ فتفقد مريم حريتها في الكلام. ويُفقد كوروناً حريتها في التواصل، استحوذ عليها فأصبحت عبدة له وعبدة للكمامة في المركز الأستشفائي.. وعبدة لوسائل التمرّض والممرضين.

قلب كورونا كل معادلات التاريخ والحاضر والمستقبل، فلم تصبح العبودية القائمة على العنصرية ولا على أي قانون بشري، فأصبح الأبيض والأسود، والغني والفقير، ومن هو في أمريكا المتحضرة أو من أتى من قعر التخلف والفقير. كلهم سواسية أمام هذه العبودية وتستحيل الحرية إلى وهم كبير يعيشه الإنسان.

تبدأ رحلة مريم بذلك القرار الصادر عن السلطات في الجزيرة يقضي بالمغادرة الفورية لكل المصابين بالوباء وأهاليهم خارج الجزيرة والعودة من حيث أتوا ويصبح هذا القرار حافزاً يؤدي على مستوى الأحداث إلى تطورها وتسارعها فتبدأ الأحداث تأخذ منحى آخر وهو:

- التهيؤ للرحيل والاستعداد له.
- الخروج مبكراً.
- الذهاب إلى المستشفى لاستلام المرضى، مع التزام التعليمات الصحية.
- السفر، والعبور من المياه إلى اليابسة، وكان عبوراً مجازياً من الجزيرة المحاطة بالمياه وتوحي بمعاني الخوف والخطر إلى اليابسة حيث الاستقرار، وهو عبور من خطر كورونا إلى الاستقرار الأبدي وهو الموت في مسقط رأسها.

كانت فرحة مريم بعودتها باهتة حزينة، العائدون كلهم؛ الأهالي ومرضاهاهم فقدوا معنى الحزن والفرح، يسرون نحو عالم مجهول.

يعود الراوي في التطابق مع الشخصية (مريم)، ويترك لها حرية التعبير عن أفكارها في تلك المناجاة، وهي في طريق خروجها من الجزيرة المكان الذي أحبته كثيراً هاهو اليوم يلفظها فتعاتبه بقولها: "يا مريم كم كنت تغالطين نفسك، كنت تعتقدين أنها تحبك كحب الأم لوليدها... أنت الآن تخرجين منها منفية مطرودة دون ذنب اقترفته، جزيترك ترميك خارجاً، لأنك تحملين في دمك هذا الفيروس اللعين".²⁰

- انفصال الراوي عن الشخصية وتقديمها بضمير الغائب فتصبح ضميرا في خبر كان، ويشير الراوي في وصف رحلتها وتفقدتها لصديقها الذي لم يأت لتوديعها حتى لا يصاب بالعدوى أهلها لا يستطيعون الدخول إليها، يتواصلون معها عبر الهاتف عند عودتها كانت في سيارة الإسعاف، تقول مريم "فلسفة مستحدثة فرضها كورونا على الجميع دون استثناء." ²¹
- قبل الوصول إلى مسقط رأسها تستلم رسالة عبر ماسنجر الفايبروك من حازم يعتذر لها ويودعها لأنه مصاب وفي مراحل الأخيرة فتصل مريم إلى المدينة جثة هامدة وتنتهي القصة نهاية حزينة عكس بعض الأعمال التي تتناول الأوبئة. عادة ما تنتهي بأمل انفراج الوباء وانحساره.

الزمن في القصة:

الموت في الزمن الكوروني؛ فرض كورونا طقوسا جديدة في المرض، وفي الموت، وفي العزاء؛ إذ يعزل المريض عن محيطه ويعيش مأساته بمفرده، وحين الموت يجهز له تابوت خاص ويحمل في مركب خاص مع أناس خاصين، يدفن في مقبرة خاصة دون مشيعين ولا اقتراب من اقرب الناس إليه، ودون عزاء. فلا يوجد ما هو اقسي من الموت في هذا الزمن الموبوء، زمن مأساوي، زمن الوحدة والغربة.

تراوح المرجع الزمني بين زمنين؛ الحاضر والمستحضر (الزمن النفسي)؛ الزمن الحاضر، حاضر السرد يقدم الكاتب وصفا للحياة اليومية أيام كورونا حيث يصبح الزمن هو زمن الرتبة والترقب والخوف من الوباء يقول: "في زمن كورونا كانت جميع الأيام متشابهة: الشوارع مقفرة، أبواب المنازل ونوافذها موصدة. زمن القيامة الصغرى كما يحلو لصديق لي أن يسميها بعد تفشي الفيروس القاتل. لا فرق بين الصباح ووقت المساء." ²² وهنا يصبح الزمن كشبح يفترس الإنسان يتلاعب بأعصابه وهو يتربص عدد الوفيات. يتوجس من أي طارئ على المستوى الشخصي، أو الأسري، أو المحيط فيصبح الزمن طويلا مملا.

الزمن الحاضر بالنسبة للبطلنة تبدو مسلوقة الإرادة مكتمة مسلوقة الحاضر يبدو زمنها رتيب وطويل وهي تحت رحمة الوباء في المستشفى والكمامة والأوبئة، محتجزة في غرفة حاضرها مكبل بالقوانين والأوامر "تم توجيهك في الحال إلى مركز الحجر الصحي الإلزامي" عليك بارتداء كمامة وقفازات بصورة دائمة ... ممنوع أن تقربي الناس... ممنوع أن تصافحهم... ²³ وهي لائحة كبيرة من القوانين يجب التزامها.

يتلاعب السارد بالأزمنة محدثا نوعا من المفارقة، وذلك بكسر رتبة الزمن الحاضر الموبوء، يصبح الزمن صرخة مكتومة موجهة نحو الداخل تلملم فيها البطلنة شتات الواقع المنكسر، مستذكرة الأيام الجميلة التي عاشتها في هذه المدينة، ملقية عليها باللائمة تقول: "...يا..يا مريم كم كنت تغالطين نفسك. كنت تعتقدين أنها ستمنحك الحب والاستقرار مثلما منحتك المسكن والمعهد... أنت الآن تخرجين منها منفية مطرودة دون ذنب اقترفته... حتى حازم، زميلك وحبيبك ابن جزيترك الحبيبة، تخلى عنك بعد أن علم بمرضك..." ²⁴

الزمن النفسي يحضر في القصة كصرخة مكتومة نحو الداخل فيها عتاب للمدينة التي تخلت عنها عتاب لصديقها عتاب لنفسها بأنها صدقت كل هذه الأوهام وينتهي الزمن بالنسبة لها كوهم.

المكان في القصة:

المكان عنصر مهم من عناصر السرد وهو احد مكونات الفضاء" فالفضاء في الرواية ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور، الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث، أي الشخص الذي يحكي القصة والشخصيات المشاركة فيها"²⁵ المكان في معظم الأحيان يكون خادما للشخصيات تابعا لها ويكون له حضور في إطار العلاقات التي يقيمها مع عناصر القصة ومن مجملها يتشكل المكون الحكائي

تواتر في القصة ثلاثة أمكنة مهمة هي في خدمة الحدث والشخصية مبرزة دورهما ومن هذه الأمكنة:

1/ الجزيرة: مكان يقبع في البحر تحيط به المياه من كل جانب -وعادة- الأماكن العائمة أو المياه كالبحار والمحيطات ما تبعث على الخوف والرعب واللااستقرار، والجزيرة التي وقعت فيها أحداث القصة، مكان خضع للتحويل. كان هادئا وجميلا ينعم فيه الناس بالراحة تحول بفضل كورونا إلى مكان دستوبي موبوء يحضر فيه السير، محكوم بالحجر، أصبح مصدرا للخوف والحذر، عدائيا، كان يستقبل جميع الناس أصبح يطرد كل أجنبي عليه. وهذا السارد يصف مغادرة الأجانب عن الجزيرة بقوله: "واصلت قافلة السيارات الثلاثة تقدمها ببطء لتقف عند علامة "قف" مثبتة في بوابة الجزيرة....ها انك اليوم تغادرين جزيرتك مطرودة مذمومة "²⁶ وإمعانا في دلالة الخوف من المكان قدمه السارد نكرة (جزيرة) لا اسم له ، وكل ما هو نكرة هو مصدر للخوف والتوجس. ويتحول المكان من واقعي موبوء إلى مكان الحلم المسترجع عبر الذاكرة.

2-المركز ألاستشفائي: مكان فيه حضور للمرض والموت فيه يفقد المريض حريته ويخضع لعبودية الأدوية وأوامر الأطباء والممرضين، يصبح فيه الزمن طويلا مملا مثقلا بأحاسيس الآلام النفسية والجسدية. كانت البطلة نزيلة هذا المكان المغلق الذي قضت فيه أواخر أيامها.

3- المدينة: حدد الكاتب موقعها الجغرافي ولم يحدد اسمها فهي مدينة تقع في الجنوب الغربي من تونس "تبعد أكثر من مائة وخمسين كيلومترا عن الجزيرة"²⁷ ما يميزها أنها مدينة منجمية. مسقط رأس البطلة، مكان لا يحمل اسما إلا أنه يقع في اليااسة فهو مستقروفي هذا دلالة على استقرار البطلة فيه استقرارا أبديا. "نزلت السيارات من البطاح وسارت ببطء نحو الوجهة المعلومة. فجأة توقفت السيارة التي تحمل على متنها مريم"²⁸ هذا المكان الذي رأت فيه النور تستقر فيه الاستقرار الأبدي.

5.الخاتمة:

- نستخلص من هذه الورقة البحثية أن سرد الأمراض والأوبئة رافد من روافد أدب الجوائح والأوبئة والكوارث. وسرد الأمراض والأوبئة قديم في الأدب العربي والغربي، ففي الأدب العربي نجده مبنوثا في كتب الرحلات والسير والمذكرات والحكايات والنوادر والأساطير. وفي العصر الحديث تناولته الرواية والقصة.

- هذا النوع من السرد لم يُنظر له ولم يحدد كجنس أدبي بعد.

- أسهب الأدب العربي القديم في سرد أنواع الأمراض العقلية والنفسية والجسدية، والأوبئة وكان لوباء الطاعون والكوليرا الحظ الأوفر.
- تناول القدامى هذه الأمراض والأوبئة بطريقة واقعية فتحدثوا عن مصادرها وأسبابها وآثارها. أما المحدثون فألّوا جانب التحليل الواقعي نجد بعض الأعمال الروائية أو القصصية تميل إلى الرمز واستشرف المستقبل.

المستخلص من سرد وباء كورونا في القصة أنه سرد من مميزاته:

- تكون فيه العلاقات بين الشخصيات والأهل والمحيط والأماكن علاقات يحكمها الخوف، والذعر والترقب.
- حرية الشخصيات مصادرة، وأصبحت مقولة الحرية وهم.
- في زمن كورونا تساوى جميع البشر.
- تغير مفهوم العلاقات والمشاعر حتى مع أقرب الناس.
- ظهور طقوس جديدة في التجارة وفي دخول الأماكن وخروجها. في الموت والدفن والعزاء، حتى في الصلاة.

الهوامش

¹ - محمود مرسى زياد، الأدب الشعري والروائي، تاريخ الأوبئة في الوطن العربي، المانيا، برلين، ص31.

² - نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2002، ص344.

³ -العالم يفكر الشروق نيوز على الرابط التالي.

<https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=06082020&id=3195280f-aecf-4130-913f-4000fbe1e4df>

⁴ - لعياضي أحمد، واقع وتحديات الأدب المرتبط في ظل جائحة كورونا، ملحق مجلة الجامعة العراقية، العدد 2/15، ص392.

⁵ - العالم يفكر، موقع الشروق المقال على الرابط:

<https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=06082020&id=3195280f-aecf-4130-913f-4000fbe1e4df>

⁶ - السعيد بوطاجين، مرايا عاكسة، الأدب والأوبئة، وزارة الثقافة على الرابط: <https://www.m-culture.gov.dz/index.php/ar/2-non-categorise/3063>

⁷ - أبي محمد الحسن بن إسماعيل الضراب (ت392هـ)، عقلاء المجانين والموسوسين، تحقيق: إبراهيم صالح، دار الشام للطباعة، ط1، 2003، ص24.

⁸ - ينظر، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (406هـ)، عقلاء المجانين، تحقيق عمر الأسعد، دار النفائس، ط1، 1987.

⁹ - ينظر، أبو الفرج بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، شرح: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط1، 1990، ص142.

¹⁰ - نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط؟، 2002، ص345.

¹¹ - حسين العبري، سفينة الحمقى، دار سؤال للنشر والتوزيع، ط1، 2015.

- 12- مجدي وهبة، كمال المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت، ط2، 1984، ص30.
- 13- غسان كنفاني، الروايات، الآثار الكاملة، مؤسسة الأبحاث العربية، مج1، ط1، 1994، ص469.
- 14- عمر بن الورد، الديوان، تحقيق، عبد الحميد هنداي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006، ص281.
- 15- عمر بن الورد، المصدر نفسه، ص281.
- 16- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت ج1، ط1، 1987، ص116.
- 17- ابن حمادوش، لسان المقال في الثناء عن النسب والحسب والحال، تحقيق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، 1983، ص30.
- 18- أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المذكرات، تقديم: العربي الزبيري، الشركة ون.ت. الجزائر، ط2، 1981، ص39.
- 19- ينظر، محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات، المغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ط2، 1992، ص400.
- 20- صالح مبروكي، كورونا يقتل مريم، قصة قصيرة، منشورات الزرافة، للنشر الإلكتروني الذاتي، مارس 2020، ص29.
- 21- المصدر نفسه، ص29.
- 22- صالح مبروكي، مصدر سابق، ص23.
- 23- المصدر نفسه، ص31.
- 24- المصدر نفسه، ص29.
- 25- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء. الزمن. الشخصية)، المركز الثقافي العربي. بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص31.
- 26- المصدر نفسه، ص33.
- 27- صالح مبروكي، مصدر سابق، ص35.
- 28- المصدر نفسه، ص35.

المصادر والمراجع

- 1- أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المذكرات، تقديم: العربي الزبيري، الشركة ون.ت. الجزائر، ط2، 1981.
- 2- أحمد لعياضي، واقع وتحديات الأدب المرتبط في ظل جائحة كورونا، ملحق مجلة الجامعة العراقية، العدد 2/15.
- 3- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت ج1، ط1، 1987.
- 4- بن الجوزي، أبو الفرج، أخبار الحمقى والمغفلين، شرح: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط1، 1990.
- 5- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء. الزمن. الشخصية)، المركز الثقافي العربي. بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1990.
- 6- حسين العربي، سفينة الحمقى، دار سؤال للنشر والتوزيع، ط1، 2015.
- 7- ابن حمادوش، لسان المقال في الثناء عن النسب والحسب والحال، تحقيق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، 1983.
- 8- السعيد بوطاجين، مرايا عاكسة، الأدب والأوبئة، وزارة الثقافة على الرابط.
- 9- <https://www.m-culture.gov.dz/index.php/ar/2-non-categorise/3063>.
- 10- صالح مبروكي، كورونا يقتل مريم، قصة قصيرة، منشورات الزرافة، للنشر الإلكتروني الذاتي، مارس 2020.
- 11- عمر بن الورد، الديوان، تحقيق، عبد الحميد هنداي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006.
- 12- العالم يفكر، موقع الشروق المقال على الرابط <https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=06082020&id=3195280f-aecf-4130-913f-4000fbe1e4df>
- 13- غسان كنفاني، الروايات، الآثار الكاملة، مؤسسة الأبحاث العربية، مج1، ط1، 1994.
- 14- أبو الفرج بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، شرح: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط1، 1990.
- 15- القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (406هـ)، عقلاء المجانين، تحقيق عمر الأسعد، دار النفائس، ط1، 1987.

- 16 مجدي وهبة، كمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.
- 17 أبو محمد الحسن بن إسماعيل الضراب (ت392هـ)، عقلاء المجانين والموسوسين، تحقيق: إبراهيم صالح، دار الشام للطباعة، ط1، 2003.
- 18 محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات، المغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ط2، 1992.
- 19 محمود موسى زياد، الأدب الشعري والروائي تاريخ الأوبئة في الوطن العربي، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، برلين.د.ت).